فتحية في شهر العسل

بين حبٍّ وغرام لسنوات طوال، تزوّج محمود فتحية، حبيبة قلبه ومهجة فؤاده.

هي في العقد الثاني، آية في الجمال، ومحمود شاب وسيم ذو مركز مرموق يسبقها في العمر بخمس سنوات.

تزوّج محمود الجميلة الحسناء بعد عناء كبير من رفض والدها له؛ لأنّه من عائلة بسيطة، لا تواكب ثراء عائلتها.

ولكن.. للحبّ سلطان، وله مآثرٌ وأحكام، والحبّ الصادق يذلّل الصعاب، ويضعف أمامه الأقوياء؛ فيفرض قوانينه، ويصدرُ

أحكامَهُ بالتضحيات، وهو ما مكّن العاشقان؛ محمود وفتحية من الزواج، والعيش في سعادة ووئام.

كان محمود ينادي حبيبته فتحية باسم توحة، كما كانت تدلّل في منزل والدها بهذا النداء.

في أحد الأيّام وبعد قضاء سهرة سعيدة ممتعة من سهرات شهر العسل، تذكرا فيها أجمل الذكريات السعيدة لعشقهما طوال فترة الخطوبة، ولحبّهما الصادق الأمين، دخلا غرفة نومهما، وغاصا في نوم عميق، وبينما الزوج يسبح في أحلام سعيدة، استيقظ على صفارة في صوت خافت، فتخيّلها منبعثة من شاب يغازل فتاة، ظنّ، بداية، أنّه يحلم، فعاد إلى وسادته؛ لكنّه سمع نداءً ينبعث من الحجرة المجاورة لحجرة نومه، يقول: أحبك يا توحة، فنهض من فراشه مسرعًا إلى تلك الحجرة؛ ليتبيّن الخبر، فلم يجد أحدًا، عاد إلى فراشه مرة ثانية فتكرّر النداء، جنّ جنونه، فراح يبحث عمّا إذا كان هناك تسجيل للنداء، أو ما شابه ذلك، فاتّجه إلى أركان المنزل، وخباياه بحثًا عن ذلك الصوت، لكن لم يكن هناك أحد غيره هو وزوجته، وما زال النداء قائمًا يتردّد من وقت لآخر، وعندها أيقظ زوجته وقصّ عليها ما حدث؛ ليعرف حقيقة ذلك الصوت،

والتسجيل، المفترض وجوده، في منزله، وما مصدره، فتعجّبت فتحية وتشكّكت في أمره؛ معتقدة أنّ عقله أصابه خلل حيال هذه القصة الواقعة، وبينما محمود يؤكد لها ما حدث سمعا معًا الصفارة، ثمّ النداء: بحبك يا توحة، فدهشت الزوجة – أيضًا – ممّا سمعت، فقال محمود في غضب: ما الذي يحدث في المنزل؟ قالت الزوجة: لا أعرف شيئًا عن هذا الصوت، ولأوّل مرة أسمعه، فربما كان المنزل مسكونًا، أو فيه بعض العفاريت، فضحك محمود، وقال، متهكمًا وساخرًا منها:

- عفاريت إيه يا مدام! ما عفريت إلا بني آدم.

لم تكن فتحية تملك جوابًا، ولم تستطع أن تجادله، وانصرفت إلى فراشها متأثرة، فازداد غضب محمود وتفجّرت عصبيته، لطمها على وجهها بيده، فصرخت فلطمها مرة أخرى، وهو يسبها بأقذع ألوان السباب، راميًا عليها يمين الطلاق لتجاهلها الأمر، حالفًا ألا تبيت ليلتها بالمنزل؛ حتّى يعرف الحقيقة.. طردها شرَّ طردةً في ثلث الليل الأخير، متخيّلا أنّه قطع الشك باليقين في سلوكها.. سترت فتحية نفسها بما طالت يديها من لباس احتشمت به في تلك الساعة المتأخرة من الليل، وغادرت قاصدة منزل والدها.

خرجت فتحية حزينة متخبطة في همّ وغمّ، وصلت بيت والدها والشمس تتهيأ لبسط أجنحتها، وإسعاد الكون بأشعتها الذهبية، لكنّ فتحية، التي غابت عنها الحقيقة، لم تر غير ظلام مغلف بالظلم، الذي وقع عليها.

في الصباح ومع تمكّن الشمس من ضحاها سمع محمود طرقًا على باب شقته، فأسرع إلى الباب، وما زال الغضب يراود رأسه، فظنّ أنّ فتحية عادت إلى المنزل؛ فتحفزّ ليقهرها ويعنّفها مرة أخرى، ويكيل لها القسوة والاضطهاد، إلّا أنّه فوجئ باثنين من أبناء الجيران، ومعهما خادمتهما يطلبون منه أن يعطيهم الببغاء الهارب من قفصه، والذي دخل إلى بيته في ساعة متأخرة من ليل أمس، ولم يرد أبناء الجيران إزعاج الزوجيْن حتّى الصباح.

أسرع محمود إلى الحجرة باحثًا عن الببغاء النادر، فصيح اللسان كثير الكلام باهظ الثمن؛ حتّى عثر عليه منزويًا تحت إحدى الأرائك بالحجرة جائعًا، وما زال يصفّر وينادي بشدة على خادمته الأمينة عليه، والتي تسمّى فتحية ، وينادونها بتوحة، فهي التي تقدّم له أشهى وجبات الطعام.

حزن محمود على تسرّعه في الأمر، وندم على فعله، وذهب لمنزل فتحية، يكلّله الخجل، مطأطئًا رأسه؛ ليقدم اعتذاراته، فرفض والدها مقابلته، ولم تقبل فتحية اعتذاره ورفضت الرجوع إليه.